THE CHAOS OF PLACES IN THE NEW

فوضى الأمكنة في الرواية الجديدة

د:سلوى بوراس

الإخوة منتوري 1قسنطينة

salwiminocha@gmail.com

قدم للنشر في: 2019/10/23 قبل للنشر في: 2019/11/20

الملخص:

يروم هذا المقال إلى مقاربة فوضى الأمكنة في الرواية الجديدة بوصفها عنصرا أساسيا؛حيث تتأتى لها هذه الأساسية من طبيعة الرواية الجديدة نفسها التي تستند لكل ما هو سردي؛ إذ تنعكس فوضوية الأمكنة على الرواية من خلال دورانها في فلك الأحداث التي تقدمها للقارئ ، الذي يتأثر بالحالة النفسية التي تعيشها الشخصيات لتكون مرآة عاكسة للأفراح والأحزان التي يعيشها القارئ والشخصية ،كما تسهم في نقل الاختلافات المتواجدة بين الطبقات، وهو ما تطمح هذه الورقة البحثية إلى مساءلته؛ من خلال إسقاط الضوء على هذا المكون الخطابي.

كلمات مفتاحيه: فوضى الأمكنة، الرواية الفرنسية، النص الأدبي الجديد.

Abstract:

This article aims to approach the chaos of places in the new novel as an essential element, as it derives from this nature of the new novel itself, which is based on everything that is narratives. The chaos of the places reflects the novel through its rotation in the event space it presents to the reader, Which is influenced by the psychological state experienced by the characters to be a mirror reflective of the joys and sorrows experienced by the reader and personality, and contribute to the transfer of differences between the classes, which this paper aspires to clarify by shedding light on this component speech.

Key words: The chaos of places, the French novel, the new literary text

مهاد نظري:

يعتبر المكان عنصر فعالا ومكونا جوهريا له قيمة واضحة ومهمة في بنية النص الروائي، لأنه العمود الفقري الذي يربط أجزاء العمل ببعضه البعض، وأحد المكونات البارزة ذات الدور المميز في مكونات الرواية.

يحظى المكان في الرواية بأهمية كبيرة شأنه شأن العناصر الأخرى كالشخصيات والزمان والوصف" وإذا كانت الرواية في المقام الأول فنا زمنيا يضاهي الموسيقى في بعض تكويناته، ويخضع لمقاييس الإيقاع ودرجة السرعة، فإنها من جانب آخر تشبه الفنون التشكيلية من رسم ونحت في تشكيلها للمكان"[1] رغم ذلك يضل المكان ذلك الهاجس الذي يحتل الذاكرة.

1-المكان نسق مفاهيمي

يدخل ضمن المكان عدة مصطلحات،فقد حاول بعض النقاد الغربيين المعاصرين التفرقة بين مستويات مختلفة من المكان.

ففي اللغة الانجليزية نجد" (location-space-place)بينما الفرنسية فنجد (lieu-espace) ونجد المرادفات العربية لهذه الكلمات المكان- الفراغ- الموقع، وقد اكتفى النقاد الكلاسيكيون في اللغات الثلاث باستخدام كلمة -lieu) (placeهذا وقد ضاف الفرنسيون بمحدودية كلمة (lieu) الموقع، فبدأوا في استخدام كلمة (espace) كما لم يرض نقاد الانجليزية عن اتساع كلمة (space-place) المكان-الفراغ، وأضافوا استخدام كلمة (location) بقعة للتعبير عن المكان المحدد لوقوع الحدث"[2]يتعامل كل أديب وروائي مع هذا العنصر بطريقته الخاصة به، بأحاسيسه وخياله الواسع ورؤيته للعالم، وهذا من خلال تعريفات عديدة كالتعريف اللغوي له "والمكان جمع أمكنة، جمع أماكن، وهو موضع (مفعل من كون)، مكان الجريمة، مكان لقاء، هو من العلم بمكان، أي له فيه مقدرة ومنزلة، هذا مكان هذا أي بدله"[3] غير أن "فيصل الأحمر" عرفه بأنه" وسط منسجم وغير محدود، تقع فيه الأشياء اللطيفة الشديدة الحساسية"[4] .

يقول "لالاند" أن كلمة مكان: "تستعمل دون أي تحديد آخر، إنما تنطبق على المجال الهندسي الاقليدي[5] فالمكان ليس بمثابة الإطار العرضي التكميلي، بل إن علاقته بالإنسان علاقة أساسية وجوهرية، لأنه مرتبط به، أينما وجد وأينما كان.

يساهم المكان في بناء الرواية، ومن أهم مكوناتها، فلا يمكن تصور العمل الروائي، دون مكان تسير فيه الأحداث، فكل فعل لا يمكن تصور وقوعه إلا ضمن إطار مكاني، وهذا ما ذهب إليه "هنري ميتران" حيث اعتبره مؤسس الحكي، لأنه يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل المظهر الحقيقة أي نزولها من مخيلة الأديب إلى أرض الواقع المعاش.

---

[1]- سيزا احمد قاسم: بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، ص: 93.
[2]- المرجع نفسه، 1988، ص ص:75- 76.
[3]- صبحي حمودي: أنوطوان نعمة: المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، 2001، ص:1351.
[4]- فيصل الأحمر: معجم السيمائيات، الدار العربية للعلوم ناشر، بيروت، 2010، ص: 124.
[5]- أندري لالاند: الموسوعة الفلسفية مج(a-g)، تر:خليل أحمد خليل: منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط2، 2001، ص:363.

احتل المكتن دورا متميزا في الرواية الجديدة " ، ولعل اللافت للنظر في خصوصية توظيف المكان أن الرواية قد طرحت المكان باعتباره عنصرا من العناصر الرئيسية فيها، فالمكان الروائي هنا وبخاصة ليس مجرد إحالة جغرافية أو موقعا وصفيا، إنه وجود إنساني يضج بالحياة"[6] لا يعيش المكان منفصلا عن باقي العناصر السردية كالشخصية والوصف والزمان، إنما يدخل معهم في علاقات متعددة متجددة لبالغ الأهمية التي يلعبها في إدراك القالب السردي وما يعالجه في المكونات الحكائية السردية.

"فلم يعد المكان موقعا للحدث ولا بعدا جغرافيا لحركة الشخصيات ولكنه تجلى في كثير من الأعمال الروائية بطلا رئيسيا ينطلق المؤلف من خلاله لبلورة أفكاره وتوضيح وجهة نظره"[7] فالمكان "يسم الأشخاص والأحداث الروائية في العمق"[8]على حد قول غالب هلسا :" فهو الذي يلد الأحداث قبل أن تلده فيعطينا تصورا لها وللأشخاص وللزمان والمكان والحركة تشكل وحدة لا تنفصم"[9].

لهذا عد المكان من أهم العناصر في بناء العمل الروائي فهو الإطار الذي تنطلق منه الأحداث وتسير وفقه الشخصيات كما نجد تعريفات متعددة متفرعة، و كانت ترجمة هذه المصطلحات الغربية غير قارة، ولا مستقرة، فإنني أجد نقاد الرواية العربية لم يستقروا على مصطلح محدد لهذا الشكل السردي، فنلفي مثلا: "سيزا قاسم "تصطلح إطلاق مصطلح مكان في دراستها لـ: (ثلاثية نجيب محفوظ) في كتابها (بناء الرواية)[10].

أما "حسن بحراوي" يفضل استعمال فضاء في كتابه(بنية الشكل الروائي)، في حين نجد "عبد الملك مرتاض" يميل إلى إطلاق مصطلح (الحيز).

"تحمل البنيات المكانية في الرواية سمات العصور وتعبر عن التاريخ المعيش، ولعل بيئة القصة في حقيقتها الزمانية والمكانية لما تحمله من سمات تدل على المرحلة وما يتعلق بتاريخها الطبيعي بما يحمل من أخلاق الناس وشمائلهم ونمطهم في الحياة"[11].

كما يعبر المكان عن حيوية الرواية فبفضله يستطيع القارئ، للرواية والمشاهد للفيلم أن يقيم ويفهم ويحلل نفسيات الشخصيات وأنماط سلوكها وطرق تفكيرها. بصدد هذا يقول "حميد لحميداني":" طبيعي أن أي حدث لا يمكن أن يتصور

[6]- عبد الله رضوان: البنية السردية 2، نقد الرواية، دار اليازوري، عمان، 2003، ص: 38.
[7]- هيام شعبان: السرد الروائي في أعمال نصر الله، دار الكندي، الأردن، 2004، ص: 277.
[8]- غالب هلسا: المكان في الرواية العربية، عن كتاب الرواية العربية، واقع وآفاق، دار ابن رشد للطباعة والنشر، بيروت، ط1، ص: 111.
[9]- ينظر غالب هلسا: المكان في الرواية العربية، ص: 209.
[10]- ينظر سيزا احمد قاسم: بناء الرواية.
[11]- أحمد طالب: جماليات المكان في القصة الجزائرية القصيرة، دار الغرب الجزائر، ص: 24.

وقوعه إلا ضمن إطار مكاني معين لذلك فالروائي دائم الحاجة إلى التأطير المكاني"[12] لأن كل حدث لابد له من مكان خاص يقع فيه، فهو الوعاء الذي يضم كل العناصر السردية.

يتطرق "حسن بحراوي" إلى هذا في دراسته الموسومة بـ:بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، متأثرا فيها بدراسة" يوري لوتمان"(Youri lot man) (بنية النص الفني La structure du texte artistique) [1973] التي بناها على مجموعة من التقاطبات عن دلالة الفضاء الروائي مقيما بذلك نظرية متكاملة لها لأن :" الفضاء هو مجموعة من الأشياء المتجانسة التي تقوم بينها علاقات شبيهة بتلك العلاقات المكانية المعتادة(كالامتداد والمسافة)"[13] .

اعتمد "حسن بحراوي" على مبدأ التقاطب كمفهوم نقدي وكأداة إجرائية من دراسة" يوري لوتمان" باعتباره المفهوم المناسب للاشتغال على الفضاء الروائي والمكان عند "غاستون باشلار" هو :"ما عيش فيه لا بشكل وصفي، بل بكل ما للخيال من تحيز، وهو يشكل خاص في الغالب مركز اجتذاب دائم"[14]

يفقد النص الروائي فحواه وخصوصيته وبالتالي أصالته، إذ لم يعتمد على هذا العنصر الأساسي لأنه المؤثر والمتأثر بها، يتحدث "غاستون باشلار" عن المكان وعلاقته بالإنسان، فالمكان الذي ينجذب إليه الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا لا مباليا ذا أبعاد هندسية وحسب فهو قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط بل كل في الخيال من تمييزه، فهو الذي يعطي مظهر الحقيقة للرواية المتخيلة.

يرى "حسن بحراوي":" أن المكان عبارة عن شبكة من العلاقات ووجهات النظر التي تنسجم وترتبط فيما بينها، لتشيد الفضاء الروائي الذي ستجري فيه الأحداث. فالمكان باعتباره مكونا أساسيا يشكل عنصرا مهما في البناء الروائي، ينظم بنفس الدقة والكيفية التي تنظم بها العناصر الأخرى في الرواية، لذلك فهو يؤثر فيها ويقوي من نفوذها وبنيتها العامة، إضافة إلى أن المكان يعبر عن مقاصد المؤلف، وتغير الأمكنة الروائية سيؤدي بالضرورة إلى تغييرات على مستوى مجرى الحكي والمنحى الدراسي الذي يتخذه"[15] .

[12]- حميد لحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، بيروت، لبنان، المركز الثقافي العربي، 2000، ص: 65.
[13]- حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ط1، 1990، ص:34.
[14]- غاستون باشلار: جماليات المكان، تر:غالب هلسا، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1980، ص: 179.
[15]- ينظر: حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص: 32.

نستخلص من هذا أن لا وجود للبنية السردية من غير المكان فلا وجود للحدث خارج المكان فهو المحطة التي تلتقي فيها البنية الروائية والمحرك الأساسي في تفاعلها وبنزين حركتها لكشفه عن البنية الدلالية ذات العمق الكبير "إن الأمكنة وتواترها في الرواية يخلقان فضاء شبيها بالفضاء الواقعي، وهما لذلك يعملان على إدماج الحكي في نقاط المحتمل"[16] .

يساهم المكان في خلق المعنى داخل الرواية ولا يكون دائما إيجابيا أو سلبيا، بل يمكن للروائي بان يحول عنصر المكان للتعبير عن موقف الأبطال في الرواية أو الفيلم.

يقدم المكان دورا أساسيا لهذا حظي باهتمام الدارسين والباحثين لسيطرته وهيمنته على الرواية عن طريق إقامته لدعائم فذة، بل تصل فروعه إلى الأحداث حيث يمثل المكان:" مكونا محوريا في بنية السرد، بحيث لا يمكن تصور حكاية بدون مكان، ولا وجود لأحداث خارج المكان وذلك أن كل حدث خارج المكان يأخذ وجوده في مكان وزمان معين"[17]، وكما أن الأدب من دون سرديات يكون أدبا ناقصا في أي لغة من اللغات، فإن السرد من دون حيز لا يمكن أن تتم له هذه المواصفات، إنه لا يستطيع أن يكون ولو أراد ، بل إنا لا ندري كيف يمكن تصور وجود أدب خارج علاقته مع الحيز ذلك لأن الذي يبقى من آثار قراءتنا لأي عمل أدبي يتمثل غالبا في أمرين مركزيين: أولهما الحيز وآخرهما الشخصية التي تضطرب في هذا الحيز بكل ما يتولد عن ذلك من اللغة التي تُنْسَج، والحدث الذي تُنْجِز والحوار الذي تُدَبِر والزمن الذي فيه تعيش[18].

كما أن الحيز يأخذ على عاتقه السياحة بالقارئ في عالم متخيل[19]لا يمكن الاستغناء عنه لأنه قد يوقف حركة الزمن ليلتقطها عن طريق حركة الأشياء، ويمتد في علاقته بما يجاوره كم أنه يتأسس عن طريق اللغة فهو:" مكون لغوي تخييلي تصنعه اللغة الأدبية من ألفاظ موجودات وصور"[20] .مهما كان المكان حقيقيا/ لا حقيقيا لا يستطيع الكاتب أن يضعه جانبا لأنه ليس حكرا على الأدب فقط، بل يتعدى للقلم وللصورة والريشة والفكر.

لا يتعامل الروائي مع المكان بالنظر إليه فقط أو " كأشكال وحجوم وفراغات ومناظر وأشياء وألوان مختلفة وإنما يتم باعتبار كل هذا مجرد رموز لغوية"[21] .

---

[16]- حميد لحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، 2000، ص: 65.
[17]- محمد بوعزة: تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم) منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2010، ص: 99.
[18]- عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، 1988، ص ص: 154- 155.
[19]- ينظر: عبد المنعم زكريا القاضي: البنية السردية في الرواية(دراسة في ثلاثية خيري شلبي الأمالي لأبي علي حسن ولد خالي) عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،ط1، 2009، ص:138.
[20]- سليمان كاصد: عالم النص (دراسة بنيوية في الأساليب السردية)، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، 2003، ص:127.
[21]- عثمان بدري: بناء الشخصية في روايات نجيب محفوظ، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1986، ص: 94.

تتطور وتتصاعد عناصر الفضاء وتتنامى حيث يرى " بورنوف" (Bour neuf) بأن تنقلات البصر تدخل في الوصف عنصرا حركيا بتمكينها من التنقل خلال الفضاء واستكشافه في اتجاهات كثيرة، هذه التنقلات في فن الرسم ينجزها الملاحظ بنفسه، إذا تقدم له اللوحة دفعة واحدة أما في الرواية، حيث لا يكون الوصف إلا تعاقبيا فيوجه الكاتب نظر الملاحظ على امتداد السبل التي قام برسمها داخل الفضاء"[22] لأنه يتسع لبنية الرواية يؤثر في طبيعة الشخصيات وعلاقاتها بتطوراتها.

قربت "سيزا قاسم" في كتابها(بناء الرواية) المكان بالوصف، ورأت أن تجسيده يختلف عن تجسيد الزمن فهو: "يمثل الخلفية التي تقع فيها أحداث الرواية، يتمثل في هذه الأحداث نفسها وتطورها، وإذا كان الزمن يمثل الخط الذي تسير عليه الأحداث، فإن المكان الذي يظهر على هذا الخط يصاحبه ويحتويه، هو الإطار الذي تقع فيه، وهناك اختلاف بين طريقة إدراك الزمن وطريقة إدراك المكان، حيث أن الزمن يرتبط بالإدراك النفسي، أما المكان فيرتبط بالإدراك الحسي، قد يسقط الإدراك النفسي على الأشياء المحسوسة لتوضيحها والتعبير عنها، فالمكان ليس حقيقة مجردة، وإنما يظهر من خلال الأشياء التي تشغل الفراغ أو الحيز أسلوب تقديمه للأشياء هو الوصف بينما الزمن (بالأحداث) وأسلوب عرض الأحداث هو السرد"[23]، وأن دراسة تشكيل المكان تقوم على استخراج مقاطع الوصف التي تتميز بنوع من الاستقلال النصي، هذا الوصف الذي يقوم على مبدأي: (الاستقصاء)و(الانتقاء)، "وقد قامت الخلافات بين الكتاب على أيهما أكثر واقعية، وأيهما أكثر تعبيرا، أما "بلزاك" فقد كان من أنصار الاستقصاء ولم يترك تفصيلا من تفاصيل المشهد إلا ذكره، ويرى "ستندال" أن الوصف القائم على التفصيل يحد خيال القارئ ويقتله، فكان يفضل الخطوط العريضة الموحية، وكان "تلستوي" يرفض الاستقصاء"[24].

لم يحظ المكان مثلما حظي غيره من عناصر الرواية كالشخصية واللغة والزمن بالاهتمام النقدي، فأغلب الدراسات تكتفي بالإشارة إليه كإطار ولم ينل ما يستحقه من قيمة سردية نقدية."إذا كان المكان يتخذ دلالته التاريخية والسياسية والاجتماعية من

---

[22]- رولان بورنوف وريال أويلي: معضلات الفضاء الروائي. تر: عبد الرحيم حزل: إفريقيا الشرق، 2002، ص:100.

[23]- سيزا أحمد قاسم: بناء الرواية، 1985، ص:102.

[24]-المرجع نفسه، 1984، ص: 88.

* ألان روب غرييه: روائي وكاتب سيناريو ولد عام 1933 تلميذ في المعهد الوطني الزراعي، مهندس زراعي مكلف بمهمة في المعهد الوطني للإحصاء (1945-1948)، ثم في معهد الإثمار والحمضيات الاستعماري(1950-1951)، ومنذ عام 1955 مستشار أدبي في منشورات منتصف الليل للمزيد ينظر:بيار دي بواديفر: معجم الأدب المعاصر، ص:599. رواياته: المماحي Les Gommes1953، المتلصص Le voyeur1955 ـ الغيرة La jalousie1957، في المتاهة Dans Le Labyrinthe1959 ، السنة الماضية في مارينباد L' année Dernière à Marienbad 1961، وهي رواية سينمائية ـ الخالدة L'immortelle 1963،وهي رواية سينمائية أيضا، بيت المواعيد La Maison De Rendez Vous 1965،مشروع ثورة في نيويورك Projet Pour Une Révolution1970، انزلا قات تدريجية للرغبة Glissement Progressifs Du Plaisir 1973 ـ إضافة إلى كتاب تنظيري مهم " من أجل رواية جديدة" سنة1955 للمزيد ينظر: لوران فليدر:الرواية الفرنسية المعاصرة، تر:فيصل الأحمر، منشورات مخبر الترجمة واللسانيات، قسنطينة، 2004، ص:55.

خلال الأفعال وتشابك العلاقات، فإنه يتخذ قيمته الحقيقية من خلال علاقته بالشخصية عامة، وهو ما يعد ظاهرة فنية عامة. ويبدو معنى الرحلة مرتبطا بالمكان ففي رواية (الممحوات أو المماحي) لآلان روب غرييه(*) ينتقل ولاس وهو الشخصية المحورية في الرواية إلى المدينة المعنية، ولمدة زمنية محدودة، وكذلك يفعل ماتياس إذ يرحل إلى الجزيرة المعينة لفترة قصيرة لا تتجاوز يوما أو يومين وفي كلتا الروايتين يرتبط معنى الرحلة بمعنى الموت[25] .تتعدد الأمكنة وتتنوع لكنها تتشابه دائما وتؤدي الوظيفة ذاتها هي التعمية على الشخصية وإشعارها بالضياع.

يذهب "ماتياس" إلى الجزيرة لشراء ساعته اليدوية، ولذلك يمتطي دراجته وينتقل من حي إلى آخر، يدق هذا الباب أو ذلك بحثا عن الحرفاء المستعدين لشراء بضاعته، وفي رواية(المتاهة) للكاتب نفسه تقوم الشخصية برحلة محددة لذلك تحمل بدورها معنى البحث، والجندي يظل كامل الرحلة يبحث عن بيت صديقه الذي مات في الحرب حتى يسلم أهله رزمة الثياب التي يحملها تحت ذراعه[26].

يهيم الراوي في رواية(الممحوات) في مدينة تسبح ضمن ديكور ممل يميزه التشابه بين الشوارع وواجهات الحوانيت والبنايات، فلم يعد بالإمكان تحديد المكان تحديدا دقيقا:" لأن الشارع يمضي يمينا مكونا زاوية حادة فهل يمكن السير فيه"[27].

تناولت الرواية الجديدة هذا العنصر لماله من أهمية بارزة على المستوى البنائي والمكاني، اهتمت به بكثير من الدقة و التمفصل لتراكم الدلالات فيه وتشعبها ففي (المماحي) معنى الرحلة مرتبط بالمكان، فكشف عن سبل شتى وطرق متفرعة في التعامل معه.

يقول "ميشال بوتور" :" إن قراءة الرواية رحلة في عالم مختلف عن العالم الذي يعيش فيه القارئ، فمن اللحظة الأولى التي يفتح فيها القارئ الكتاب ينتقل إلى عالم خيالي من صنع كلمات الروائي، ويقع هذا العالم في مناطق مغايرة للواقع المكاني المباشر، الذي يتواجد فيه القارئ"[28] يوجد علاقة ترابط محددة بين الزمن والمكان سواء أكان في الرواية أو الفيلم على حد السواء.

2- وصف المكان:

قد يرد الوصف دقيقا:" فيتناول الأشياء في أحوالها وهيئتها كما هي في العالم الخارجي، وتقديمها في صورة أمينة تعكس المشهد وتحرص كل الحرص على نقل المنظور الخارجي أدق نقل"[29]وهذا النوع يتواجد بكثافة عند أصحاب الرواية الواقعية وعلى رأسهم

[25]- محمد الباردي: الرواية العربية والحداثة، ص: 232.
[26]- المرجع نفسه، ص: 238.
[27] - Alain Robbe Grillet : Les gommes, p : 49.
[28]- سيزا احمد قاسم: بناء الرواية، 1985، ص: 99.
[29]- المرجع نفسه ، 1984، ص: 80.

هنري دي "بلزاك" في الأب غوريو (Le Père Goriot) وغوستاف "فلوبير" في مدام بوفاري (mme boveri)على سبيل المثال لا حصر فمن خلالهما:" يتعرف القارئ على ألوان الطعام وأشكاله في فرنسا في القرن التاسع عشر"[30].

بينما يكاد ينعدم في روايات أخرى يصعب الفصل بينه وبين السرد، خاصة في رواية تيار الوعي[*] فهم "لا ينظرون إلى الأشياء على أنها حقيقية مستقلة عن الشخصية، بل إنهم وجدوا في الأشياء مجرد أصداء تعود إلى سطح الوجود بعد ترشيحها في نفس المتلقي وتلوينها بمزاجه الخاص"[31].

حيث أن المكان لا يظهر فيها بشكل وصف مستقل ، فهم يركزون على العمليات الذهنية للشخصية أكثر من تركيزهم على الفضاء الذي يحتويها، لأن المكان وجه من أوجه الخلفية الروائية (المكان/الزمان)، فأي كاتب لرواية أو الفيلم لا يمكنه وضع عمله الأدبي والسينمائي دون التركيز على هذا العنصر وآلان روب غرييه لا يوظفه هكذا وبطريقة اعتباطية بل يختاره ويوفق بينه وبين بقية العناصر الأخرى.

يسعى بعض الكتاب إلى "إسقاط الحالة الفكرية والنفسية للأبطال على المحيط الذي يعيشون فيه، مما يجعل للمكان دلالة تفوق وجوده المألوف، أي كونه ديكورا أو وسيطا يؤطر الأحداث فهو يتحول إلى محور حقيقي ويقتحم عالم السرد محررا نفسه من أغلال الوصف والفضاء في الرواية ينشأ من خلال وجهات نظر متعددة ما دام يعاش على عدة مستويات: من طرف القارئ الذي يكون له رأي في تحليل شكل المكان وطبيعته، وعلى هذا الأساس فإن الوضع المكاني في الرواية قد يساهم في تشكيل المادة الحكائية ويتحول إلى مكان جوهري في العمل الروائي، فيتجاوز وجوده المألوف بوصفه ديكورا فقط"[32]يهدف الكاتب من خلال هذا العنصر إلى عمل منفرد يسعى إلى تحقيقه وانجازه قبل كتابته في العمل الروائي والفيلم السينمائي.

فالوصف:" أسلوب إنشائي يتناول ذكر الأشياء في مظهرها الحسي. ويقدمها للعين، فيمكن القول:" إنه شكل من أشكال التصوير ولكن التصوير بمفهومه الضيق يخاطب العين أي النظر، ويمثل الأشكال والألوان والظلال"[33].

---

[30]-المرجع نفسه،والصفحة نفسها.

* تيار الوعي: هو التكنيك الذي يستخدمه الروائي لتقديم المحتوى الذهني، والعمليات الذهنية عن طريق وصف المؤلف الواسع المعرفة لهذا العالم الذهني من خلال الطرق التقليدية للقصص والوصف للاطلاع أكثر،للتوسع ينظر: روبرت همفري: تيار الوعي في الرواية الحديثة، تر: محمود الربيعي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، دط،2000 ، ص 72.

[31]- سيزا احمد قاسم: بناء الرواية، 1984، ص:81.

[32]- رشيد قريبع: الرواية الجديدة في الأدبين الفرنسي والمغاربي، ص: 85.

[33]- سيزا احمد قاسم: بناء الرواية، ص: 79.

3–المكان في الرواية الجديدة[*]:

حين يتطلع القارئ في روايات" بلزاك" و"زولا"، و"فلوبير" يستنتج ويصل إلى جميع المعلومات الخاصة بالمكان الذي سيؤطر ويساهم في تأطير الأحداث وتكوين حركة البطل والشخصيات، يلجأ الروائي عادة إلى تقديم ضالته وهدفه من خلال وصفه للشوارع والمنازل والمدن والأزقة بوصف دقيق متناهي، كما فعل" فيكتور هيجو "في فيلمه البؤساء من خلال تصويره للمجتمع البورجوازي فهو :"يقدم ويعرض الموجودات الموصوفة بطريقة متزامنة بوجودها في المكان المحدد، وهو مهم أيضا لإدخال العنصر الدراماتيكي في الرواية، ومن ثم لإظهار النماذج البشرية والاجتماعية"[34].

ومن ثم يشير" آلان روب غرييه" :"أن الوصف ليس اختراعا حديثا، فالرواية الفرنسية الكبيرة في القرن التاسع عشر و بلزاك على رأس قائمة كتاب هذه الفترة تطفح بالبيوت والأثاث والملابس الموصوفة بدقة وإسهاب شديدين، يهدف هذا الوصف إلى جعل القارئ يرى وهو ينجح في هذا، فقد كان الوصف في هذا الوقت يهدف في معظم الأحيان إلى بناء ديكور أو تحديد إطار الحدث وتصوير الشكل الفيزيقي للأبطال والشخصيات الرئيسية كان ثقل الأشياء الموضوعة بهذه الطريقة الدقيقة يشكل عالما مستقرا يمكن الرجوع إليه بعد ذلك بسهولة"[35] لأنه هو " المساحة التي تتحرك فيها الأبطال أو يفترض أنهم يتحركون فيها[36] باعتباره حيزا من رقعة جغرافية بحيث يجعل من أحداث الرواية بالنسبة للقارئ والمتفرج محتمل الوقوع بمعنى أنه يوهم بواقعيتها بحيث ينتقي مع الديكور والكاميرا من خلال الدور الذي يلعبه.

وفي أعمال " ميشال بوتور" تستوقفني روايتان (جدول الوقت) و(التعديل) ففي الأولى يقوم "السيد ريفال"(monsieur revel)برحلة تربص في مدينة بلاستون الانجليزية، تدوم فترة زمنية محدودة يسافر البطل في رواية(التعديل) من باريس إلى روما على متن القطار ثم يعود، وفي الروايتين أيضا يرتبط معنى الرحلة بمعنى البحث، ففي الأولى تسعى الشخصية إلى كشف اللغز المهيمن على المدينة والمجسم في الجريمة. وكان قد اكتشفها عبر الرواية البوليسية التي قرأها، ويظل هاجس البحث عن القاتل مهيمنا على الشخصية طيلة الرواية، وفي الرواية الثانية يرتبط السفر بمعنى البحث عن سيسيل في روما الذي يتحول إلى البحث

---

[*] الرواية الجديدة: ويطلق عليها أيضا حركة أدبية Courant Littéraire جهد بارز تقوم به جماعة من الأدباء أو النقاد من أجل تحقيق غاية أو هدف مشترك يتجه نحو تعديل أو تغيير عدد من المواقف الأدبية النقدية أو الثقافية أو أبرز سمات تراكم أدبي أو ثقافي أو معرفي من الزاوية الكيفية، للتوسع ينظر: سمير سعيد حجازي: قاموس مصطلحات النقد المعاصر،دار الأفاق العربية،القاهرة، ط1، 2001 ص:90.

[34]– محبة معتوق: أثر الواقعية الغربية في الرواية العربية، دار الفكر، ط1، 1991، ص: 22.

[35]– ينظر آلان روب غرييه: نحو رواية جديدة، ص: 129.

[36]– إبراهيم عباس: الرواية المغاربية شكل النص السردي في ضوء البعد الايديولوجي، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط1، 2005، ص: 217.

عن الذات وكشف لها"[37] ترتكز كلتا الروايتين على الرحلة بمعنى الانتقال من مكان إلى آخر مغاير بصاحبه تغير في الشخصية، وهذه الرحلة مستمدة من أسطورة البحث التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالرواية البوليسية(roman de l'intrigue).

في رواية (التغيير) يبقى المكان محددا في القطار حيث نرى "أن رجلا أصبح رجل آخر لا لشيئ إلا أنه يفهم بأنه لا يملك القدرة على التغيير أو لا يريده، حيث يستقل ليون في دلمون الذي يعمل مديرا للآلات الكاتبة والبالغ أربعين من عمره القطار من أجل أن يعلن لعشيقته سيسيل المقيمة في مدينة روما بأنه وجد لها عملا في باريس، يمكنها من العيش معه. حيث قدم وقام بتطليق زوجته كما ينوي أن يفعل، ولكن ما إن يقترب من روما، ويدخل القطار في المحطة الأخيرة"[38].

ففي الرحلة نجد معاني متصلة بالمكان وهذا العنصر من سمات ما ميز الرواية الجديدة وهذا ما نجده أيضا في رواية(طريق الفلاندر) لـ"كلود سيمون" حيث تقوم شخوص الرواية برحلة محفوفة بالخطر فالمجموعة العسكرية التي ألقي القبض عليها أثناء الحرب تقوم برحلة إلى المعتقل. والرحلة في حد ذاتها تحمل معاني الحرية من القيود. فالرحلة أضفت بريقا في الكتابات الروائية الجديدة، وصبغتها بصبغة خاصة. لم تكن معروفة من ذي قبل.

ظل عنصر المكان من أهم الخصائص التي حرص الروائيون في فرنسا:" على وصفها والإمعان في ذكر تقاطيعها وتفاصيلها وقد يكون ذلك متصلا بالتشيؤ، ولكنه أيضا وسيلة استعملوها لتعويض العقدة والتسلسل الزمني، رأينا ذلك عند "آلان روب غرييه" و"ناتالي ساروت" و"كلود سيمون" فدراسة المكان لا يمكن أن تنفصل عن دراسة الأشياء التي لها علاقة بالإنسان كما أن هذه العلاقة تستطيع أن تعطي دلالات متعددة للمكان الروائي. والمكان ممتلئ غاص بالأشياء وهو مرتبط بها وليس مستقلا عن نوعية الأجسام الموجودة فيها"[39]، يظهر المكان في الرواية الجديدة من خلال تماهيه في الشخصية وهذا هو الجديد الذي قدمه آلان روب غرييه وزملاؤه جديد بمادته وموضوعه وأسلوبه اهتموا به وعالجوه :" وحددوا العالم الحسي الذي تعيش فيه شخصياتهم وجسدوه تجسيدا مفصلا"[40].

"وفي تقنية الوصف وبالضبط وصف المكان أو الفضاء الجغرافي، يبرز ما يسمى بالفضاء الروائي، الذي يعني في مفهومه الفني: مجموع الأمكنة التي تظهر على امتداد بنية الرواية مكونة – بذلك– فضاءها الواسع الشامل"[41].

[37]- محمد الباردي: الرواية العربية والحداثة، ص: 238.
[38]- موريس جانجي: سمات الرواية الجديدة، مجلة المعرفة، دمشق، العدد185، تموز 1977، ص: 35.
[39]- ينظر: محمود محمد عيسى: تيار الزمن في الرواية العربية، مكتبة الزهراء، ط1، 1990، ص: 5.
[40]- سيزا قاسم احمد: بناء الرواية، 1984، ص:106.
[41]- حميد لحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، 1991، ص:63.

اقترن الوصف بالسرد في الرواية الجديدة عن طريق الأفعال التي تتخلل المقاطع الوصفية فأصبح:" العنصر الأساسي في الرواية الجديدة ولكنه اتخذ وظيفة سردية خاصة (خادما للسرد)"[42]، ومع ذلك فقد :"حاول الكثير من الروائيين، وهم يصفون المكان منازلا، وسجونا وأحياء...وغيرها التوقف عند الحياة المنبعثة منها وكأنها (كائنات) لها من الخصوصية ما يجعلها وهي تلامس الوافد عليها تملؤه وتخالطه وتتخلله بما لديها من مشاعر وأحاسيس"[43].يتضح من خلال ما سبق أن المكان في الرواية الجديدة مرادف للتيه والضياع، ولم يعد مرفأ للشخصيات وراحتها، فهي دائما في صراع مستمر ومتطور.

تتشعب الآراء وتتسع لتصل إلى تصور متكامل حول عنصر المكان، كما نجد تعريفات متعددة وتحليلات متنوعة تحاول إزالة اللبس والغموض الذي يعتري هذا العنصر السردي في الرواية الجديدة، لأنه:" لا يعيش منعزلا عن باقي العناصر السردية الأخرى وإنما يدخل في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية الأخرى للسرد، كالشخصية والأحداث والرؤية السردية وعدم النظر إليه ضمن العلاقات والصلات التي يقيمها"[44]. لم تعتمد الرواية الجديدة تماهي المكان في الشخصية وتجعله حكرا للاستقرار والتشبث بها، بل تعدى إلى معاني أكبر، أصبح يحمل في جل الروايات معنى الرحلة والبحث والتيه، مفادهم من ذلك إطلاق العنان للخيال، ليحلق بعيدا عن الواقع الضيق.

وينبغي في هذا المجال التفريق بين ثلاثة أنواع من الأماكن:

- الفضاء النصيl'espace textuel: ويمثل الفراغات والبياضات الموجودة داخل النص وامتداداته.
- الفضاء الحكائي الخيالي الدلاليespace sémantique والذي يتخيله ويمثله الروائي.
- الفضاء الواقعي الذي يكون في الأماكن المجسمة الجغرافية في العالم الواقعي الحقيقي، وكلا هذين الأخيرين لا يمكن أن يكونا خارج اللغة، أي يتشكلان بواسطت في المتن الروائي فالفضاء الروائي هو فضاء لفظي بامتياز[45]وهذا ما ظهر في روايات وأفلام "روب غرييه "حيث غاص وتجاوز الأساليب الكتابة التقليدية رغبة منه في جلب انتباه القارئ والمشاهد لأفلامه والمتلقي لهما إلى كل ما هو مثير للواقع، ومجاوز للمألوف، دعم هذا العنصر من خلال تمظهراته في الأشياء كون تجاربه عصارة طويلة من الممارسة البناءة في الإقناع.

[42]- سيزا قاسم احمد: بناء الرواية، ص: 83.
[43]- حبيب مونسي: فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتية جمالية –دراسة- منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص: 15.
[44]- ينظر: حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، 1990، ص: 26.
[45]- ينظر: حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص: 27.

فعالم رواية (الغيرة)هو:" حصيلة أفعال خيالية وواقعية تجري في مكان ما، وفي زمن معدوم وشخصيات الرواية ثلاث زوج وزوجته وعشيقها فرانك، يتحددون بالعلاقات البسيطة المقيمة فيما بينهم، علاقات يحددها وضع الأشياء وموقعها، أكثر ما يحددها هؤلاء الأشخاص أنفسهم، فإن لموقع كرستيين بالنسبة إلى كرسي ثالث أهمية تفوق أهمية الناس الجالسين عليها وفي المكان نفسه"[46].يتجسد من خلال الانفتاح والانغلاق في الفضاء فضاءات متضادة فيما بينهما، وهذا ما أكده "غاستون باشلار" في كتابه (جماليات المكان) "إلى الأماكن الضيفة ودلالتها بالنسبة إلى الإنسان الذي يعيش فيه ويتفاعل معها، فتحدث عن البيوت والخزائن والأبواب والصناديق المقفلة، كما تناول جدلية الداخل والخارج، وأشار إلى أنه مهما تكن طبيعة -أي المكان- ضيقة أو رحبة، ومهما يكن حجم الموصوف صغيرا أو كبيرا فإنه سيشير إلى الحالة النفسية التي تمر بها النفس البشرية وإلى الحرية التي تتوق إليها، ورأى باشلار أنه لا يمكن وضع تعريف محدد للداخل والخارج لأن الصراع بينهما صراع حقيقي فهي ابسط حركة يمكن أن تخل باتساق الأحداث لذلك تناول هذه الجدلية(الداخل/ الخارج)من خلال تعابير الوجود وبعيدا عن الإحالات الهندسية[47].

كما سبق وذكرنا فقد تناول "غاستون باشلار" في كتابه عنصر المكان وعلاقته بالزمان، إذ لا يمكن الفصل بينهما :"فإذا كان الزمان يدرك الإحساس النفسي فإن المكان يرتبط بالإدراك الحسي، ولهذا يكون المكان أسهل للملاحظة والانتباه والمشاهدة من الزمان، نظرا لكونه مجسدا، غير أن العلاقة بينهما علاقة وطيدة، والتفاعل بينهما من شأنه الكشف عن طبيعة عناصر التكوين الفكري والرؤية عند القاص فبانصهارهما في بوتقة واحدة يكتمل للحدث قيمته الواقعية"[48] مصنفا إياه إلى أنواع:

- المكان المجازي: وهو المكان الذي نجد في رواية الأحداث المتتالية، حيث يكون ساحة للأحداث ومكملا لها، وليس عنصرا مهما في العمل الروائي، يكتسب صفة الاستسلام والخضوع لأفعال الشخصيات.

- المكان الهندسي: وهو المكان الذي تعرضه الرواية بدقة وحياء من خلال أبعاده الخارجية.

- المكان كتجربة معاشة: داخل العمل الروائي، وهو قادر على إثارة ذكرى المكان عند المتلقي.

- المكان العادي: وقد أضاف غالب هلسا كالسجن والمنفى والطبيعة الخالية من البشر والغربة[49].

---

[46]- ينظر: موريس جانجي: سمات الرواية الجديدة، ص: 36.

[47] - ينظر غاستون باشلار: جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1984، ص ص: 205- 206.

[48]- أحمد طالب: جماليات المكان في القصة القصيرة الجزائرية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ط1، 2005، ص: 12.

[49]- محمد عزام: شعرية الخطاب السردي، دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005، ص ص: 65-66.

أضاف المكان لكتاب الرواية الجديدة، وعيا جديدا ومفهوما مغايرا تجسد من خلال الرحلة والبحث ليثير الدهشة والغموض، ويدفع القارئ والمتفرج للأفلام أن يطرح تساؤلات، لأنه وظف بتقنية مربكة هاربة عن ما هو معتاد.

يتضح أن رواية الشخصية تمتلئ بالمكان عكس رواية الدراما التي تعتمد على الزمان وبالتالي يتقلص عنصر المكان فيها، إلا أنه لا ينقص من أثره في البنية السردية، وطريقة عرض المكان بين الشخصية والرواية يرجع إلى ما أكده "أدوين موير"(edvin Mayer) أن الاختلاف يرجع إلى عنصر التغليب:" القول بمكانية الحبكة لا ينكر الحركة الزمانية فيها، كما أن القول بزمنيتها لا يعني أنه ليس لها وضع في المكان...الأمر يتصل بالعنصر الغالب"[50] يعني ذلك أن علاقة المكان بالشخصية يتبع الأحداث التي تقع لهذه الشخصية وتعددها في أمكنة متعددة أيضا، وقد تكون العلاقة بالزمان هي الغالبة فالغلبة حينئذ تكون حسب علاقة الشخصية بأحد العنصرين أي علاقة تغليبية.

كما أن "العالم الخيالي للرواية الدرامية، يقع في الزمان، وأن العالم الخيالي لرواية الشخصية يقع في المكان، ففي الأولى باختصار يقدم لنا الكاتب تحديدا عابرا للمكان ويبني حدثه في نطاق الزمان، وفي الثانية يفترض الزمان فيكون الحدث إطارا زمنيا ثابتا"[51].

يعد المكان أمرا مهما في الفيلم، وربما أكثر من الرواية، باعتباره فضاء متحركا، تزدحم فيه الأحداث وتزخر فيه الشخصيات ففي الفيلم تتعدد الأمكنة والأزمنة باعتباره المساحة المعدة للمفاجآت والصدمات والمواجهات.

تجري أحداث رواية (الغيرة) في:" بلد إفريقيا الاستوائية تؤطره مزرعة الموز، حيث ينتصب البيت الذي تسكنه (آ...) وزوجها والعمال الزنوج الأهالي الذين يشتغلون فيها، لكن هذا المكان ينحصر في فضاءين أساسيين داخل البيت وخارجه، ولذلك نرى الراوي يهتم اهتماما خاصا بوصف البيت وحدوده من خلال زوايا مختلفة"[52].

يتوزع الوصف المكاني في هذه الرواية بين طريقتين: فهناك طريقة تمسُ الأمور الداخلية وذلك حين يستمد هذا الفضاء وجوده من خلال بعض القضايا الصغيرة التي يتشكل منها وتكونه، في الأخير مثل الأرائك و الصحون و آنيات الكوكا، وغيرها من المشروبات أو من خلال الحركات التي تقوم بها الشخصيات، والتي تحدد وجودها في المكان مثل ارتيادها قاعات الأكل والنوم وغيرها من الأماكن الموجودة في النص والتي تحف بشخوص الرواية.

[50]- أدوين موير: بناء الرواية، تر: إبراهيم الصيرفي، الدار المصرية، القاهرة، 1965، ص: 63.
[51]- المرجع نفسه، ص: 62.
[52]- محمد الباردي: الرواية العربية والحداثة، ط2، ج1، 2002، ص: 386.

أما الفضاء الداخلي فهو كما سبق ذلك الذي يشيع في رواية (السنة الماضية في مارينباد)، وهو يختلف عن الفضاء الخارجي الموجود خاصة في رواية(الغيرة) وهو مجموعة من المواقع والمناطق التي توصف وصفا هندسيا دقيقا يمكن أن يتشظى إلى مجموعة من الأماكن التي ترتادها الشخصيات خلال انتقالها أو تجولها بين أماكن العمل وبين الفضاءات التي ترتادها الشخصيات الأخرى التي لها علاقة بها.

نلتمس تحديد المكان من حين إلى آخر،حيث يعتمد " روب غرييه" على هذه الطريقة بهدف التعمية ليفقد هويته وصداه الاجتماعي ، ففي (بيت المواعيد) :"تتحرك الشخوص في مدينة آسيوية هي مدينة هون كونغ(hong kong)بمظهرها الجغرافي والاجتماعي، فكل الناس يعرفون هون كونغ بمرفئها وسفنها الشراعية ومراكبها، والفستان الضيق ذي التنورة المقيدة والمشقوقة طولا والى الفخذ ، وبمغاراتها الجميلة في حي كولون(kowloon)حيث يوجد أجمل حرير العالم،وكذلك يعرفونها بشوارعها القذرة"[53].

يتراوح وصف المكان في هذه الرواية بين الدّاخل والخارج:

أ- الفضاء الداخلي: يتجسد الفضاء الداخلي في الفيلا الزرقاء، " تنتظم فيها العروض الفنية الخاصة ببعض المقربين المعروفين بممارسات لا أخلاقية، وسياسة مشبوهة فوق المسرح الصّغير، كما يتمثل أيضا في بيت السّيد إدوار مانري (E.monreret)حيث قتل، وهو بيت يوجد في عمارة ذات طوابق عديدة لا تخلو من ألغاز مثيرة، تخضع فيها الفتاة الأورانية، صاحبة الكلب إلى مطاردة مريبة"[54].

ب- الفضاء الخارجي: يعتبر حي كولون المكان الخارجي الذي تدور فيه أحداث الرواية ويعد من أشهر الأسواق التجارية المفتوحة في العالم.

يحدد المكان في هذه الرواية (في المتاهة) بين فضاءين: حيث يتجسد الفضاء الداخلي في الغرفة وجدرانها أما الفضاء الخارجي فيتمثل في المدينة التي تغمرها الثلوج البيضاء و القائمة في خيال الراوي .

يكتسب المكان أهمية خاصة في نصوص كتاب الرواية الجديدة، ورغم أنهم لم يوضحوا ذلك صراحة إلاّ أن علامات التشيء والوصف والتبئير كلها تنطلق من التحديدات المكانية.وينطلق "غاستون باشلار" في كتابه(جماليات المكان) من:" الفلسفة الظاهراتية ليربط بشكل خاص بين المكان وعلاقته بالإنسان، والدلالة التي يمكن أن يؤديها تنوع أشكال المكان، ويركز في بحثه

[53]- المرجع نفسه، ص: 386-387.
[54]- المرجع نفسه، ص: 387.

هذا على الأماكن التي ترتبط بحياة الإنسان في مراحل حياته المختلفة، ومستوياته الاجتماعية المتعددة لا يبقى المكان مجرد أبعاد هندسية بل يحمل قيما حسية وجمالية ويدفع إلى التذكر والتخيل"[55].

هكذا ينظر النقاد إلى المكان وقد تأس بهم المبدعون أيضا الذين ما انفكوا يتبارون في غلاء المكان سلطة خاصة داخل نصوصهم، للمكان دلالة تذكارية حميمية لأنه مرتع الذكريات وفضاء التجارب وللمكان قيمة سياسية وحضارية، أليس المكان سببا في الكثير من الحروب والصراعات، ولعل أصحاب الرواية الجديدة من الذين أولوا هذه الخصيصية السردية عناية أيضا، النزل(Le place) عنوان لرواية كتبها "كلود سيمون"، و(السنة الماضية في مارينباد) لـ"ألان روب غرييه" روايتان من كثير من الروايات التي تحمل اسم الفضاء عنوانا لها، ولذلك لم تخرج هذه الرواية عن السياق العام لخطاب النصوص السردية الجديدة ، تهشم الرواية الجديدة الفضاء وتبعثره وتفرض على القارئ عودة إلى العقل لترتيب معالمه من جديد.

وهو الشيء الذي يبدو من خلال عنوان رواية (في المتاهة) لـ"ألان روب غرييه" التي تغوص بالقارئ في متاهات المكان وتأخذه إلى رحلة عليه أن يؤسس معالمها في كل مرة (السنة الماضية في مارينباد) أيضا مليئة بالمتاهات وهي عادة مسيرة من طرف صاحب الكاميرا الذي ينتقل بنا بين ثنايا المكان وفضاءاته المفعمة بالغرابة والغربة، فالتركيز يكون دائما على بعض النقاط التافهة يقول مثلا:" تقترب الكاميرا من شكل تفصيلي في الصورة الأخيرة، فيها الكثير من التفاصيل الباروكية[*](طريقة 1900) هي موجودة فوق رؤوس الناس الواقفين، ثريا مثلا أو تلوينات ضوئية منحوتة على الحائط..."[56].

فالكاتب هنا يتحدث عن جزيء أو جَزيئَة بسيطة في الفندق، وهكذا يكون على القارئ، أن يرتب معالم المكان من جديد، من الرواق إلى السقف إلى الحديقة وإلى غرفة النوم وغرفة اللعب فيصاب حينئذ بما أسميه التيه، هي حالة تشبه الطفاوة التي تصيب الوجودين حين يقلقون(القلق).

يتعرض المكان أيضا للكثير من التغييرات وإعادة التشكيل مما يجعله غير قابل للترتيب النهائي، يبدو ذلك من الكلام الآتي:" حدث تغيير في الترتيب نعود إلى الطريقة الأولى وكيفية تصفيف الأهداف لأن حالة الأشكال الأولى قد صارت مألوفة سنعيد تصفيفها وتنضيدها"[57].أجد الصور أيضا في قوله:" نلاحق ثلاث صور متحركة صغيرة جدا ثم نعيد ترتيبها"[58].

---

[55]- عمرو عيلان: الايدولوجيا وبنية الخطاب الروائي دراسة سوسيوبنائية في روايات عبد الحميد بن هدوقة، منشورات جامعة منتيوري قسنطينة، 2001، ص:213.

[*]الباروك: هو فن في الرسم والتشكيلات الهندسية التي تعتمد الزخرفة والتلوينات وغيرها من الأمور التي كان يعتقد أنها تعطي جمالا للأفضية.

[56] -Alain Robbe Grillet : L'année derniére à marienbad. P :51.

[57] -Ibid. P :55.

[58] -Ibid ,P :57.

لم تكن نصوص الروائي ألان روب غرييه وحدها حاملة لهذه التشكيلات المكانية فنصوص" ميشال بوتور" و"ناتالي ساروت" كلها تمتلئ تقريبا بمثل ذلك؛ فكلهم اعتمدوا طريقة تهشيم المكان وتفتيته، وهي الطريقة التي تشير إليها الثقافة الجديدة.

ومن ضمن المقاطع السردية التي تشير إلى ذلك ما أجده في الوصف:" لخلفية المرأة قطعة حطب سميكة محمرة تبدو مائلة إلى لون التراب وبيضاوية فيها الكثير من الرسومات والآثار، غصن عليه علامات يخفي القليل من شرفة خارجية، باب يفضي إلى غرفة الأكل، تركت ذات الأربعين آثارا على الأرض العارية، لا يمكن رؤيتها بصورة واضحة غلاف الطاولة، ثلاثة صحون تشغل حيزا بجانب خزانة غرفة الأكل"[59].

في المقطع السردي السابق محاولة لتفتيت المكان وتهشيمه إلى عناصر تتطلب إعادة تركيب، وقد أشار " جاك دريدا" في نصوصه إلى النظرية التقويضية أي التفكيكية التي تدعو إلى تفتيت النص وإعادة تشكيله من جديد بالعناصر المتاحة أي بالعناصر الأصلية للنص؛ فعلينا إذن أن نعيد ترتيب معالم المكان الذي يقدمه إلينا الكُتاب مبعثرا.

يتعب القارئ كثيرا في سبيل إعادة تشكيل المكان في الرواية الجديدة، ويقول روب غرييه في مكان آخر:"هذا الأخير لم يُغادر مقوده السيارة فقد نزلت مرافقته لتسير على الطريق المليئة بالحجارة، كانت ترتدي حذاء خفيفا بأعقاب عالية، أقدامها لم تكن متساوية لذلك شعرت بحرج كبير عندما أرادت أن تقطع الساحة لباسها الأبيض الواسع اختفى تقريبا حول جسدها، رأسها، ذراعها، وجذعها، الطريق أمامها مليء بالأخطار توقف الزمن وفق كتفيها..."[60].

إن هذه الأوصاف لا تستغني عن المقاطع التي يتشكل منها المكان، ولعل النظر هو الذي يُسهم في الإتيان بهذه الصور.المكان إذن في الرواية الجديدة يميل إلى احتلال موقع متميز في السرد، إنه يأخذ مكان إحدى الشخصيات ويعوض بعضها، وحتى في الأماكن المتقاطبة يسعى الكتاب إلى إبراز حالة بعض الأمكنة عن طريق تعويضها إلى التقابل مع نقيضها، كما تسير الأماكن أشياء حين تتشكل علاقات حميمية بينها وبين شخوص النصوص.

يقول "روب غرييه" في روايته(السنة الماضية في مارينباد) مقطع عام:" ترافق الكاميرا فيه (X)و(A) في الفندق كان يتحركان عبر الغرفة لكن حركاتهما كانت غير واقعية، وخطواتهما لم تكونا متناسقتين المسافة مختلفة يقطعانها جيئة وذهابا مسافة (X) كانت

59 -Alain Robbe Grillet : La jalousie, P : 54.
60 -Alain Robbe Grillet : La jalousie, P : 91.

تشبه مسافة (A) وأمامهما طريق يؤدي إلى السلالم، يقطع الصمت في بعض الحالات نشيج الكاميرا حين تغير موضعها مضى على ذلك وقت طويل هي مسافة مضنية تلك التي تربط بين الفرق والصالات في هذا المكان المتأطر"[61].

يتعلق المكان بالشخصيات والزمن في المتخيل السردي، فألمس تغيرات تحصل على مستوى جميع العناصر التي ترتبط ببعضها البعض ارتباطا وثيقا.

قائمة المصادر والمراجع:

أ–المصادر:

1- Robbe Grillet (Alain) : les gommes, les édition de minuit, 1953.
2- la jalousie, les édition de minuit,1957.
3- l'année dernière à marienbad. Les éditions de minuit, 1961.

ب– المراجع:

4- الأحمر (فيصل): معجم السيمائيات، الدار العربية للعلوم ناشر، بيروت، 2010.
5-باشلار (غاستون): – جماليات المكان، تر:غالب هلسا، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1980.
– جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1984.

5- الباردي (محمد): الرواية العربية والحداثة، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سورية،ط1،ج1، 1993.
6- بحراوي (حسن): بنية الشكل الروائي، الفضاء الزمن، الشخصية، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1990.

7- بدري (عثمان): بناء الشخصية في روايات نجيب محفوظ، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1986.

8- بوعزة (محمد): تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم) منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2010.
9- بورنوف (رولان) وريال أويلي: معضلات الفضاء الروائي. تر: عبد الرحيم حزل: إفريقيا الشرق، 2002.

10- جانجي (موريس): سمات الرواية الجديدة، مجلة المعرفة، دمشق، العدد185، تموز 1977.

11-حمودي (صبحي)و أنوطوان نعمة: المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، 2001.

12- رضوان (عبد الله): البنية السردية 2، نقد الرواية، دار اليازوري، عمان، 2003.

13- زكريا القاضي (عبد المنعم): البنية السردية في الرواية(دراسة في ثلاثية خيري شلبي الأمالي لأبي علي حسن ولد خالي) عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،ط1، 2009..
14- سيزا (احمد قاسم): بناء الرواية، مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984.
15- شعبان (هيام): السرد الروائي في أعمال نصر الله، دار الكندي، الأردن، 2004، ص: 277.
16-طالب (أحمد): جماليات المكان في القصة القصيرة الجزائرية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ط1، 2005
17- عباس (إبراهيم): الرواية المغاربية شكل النص السردي في ضوء البعد الإيديولوجي، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط1، 2005.
18-عزام (محمد): شعرية الخطاب السردي، دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005.

[61] - Alain Robbe Grillet : L' Année derniére à marienbad, P : 128.

19- عيسى (محمود محمد): تيار الزمن في الرواية العربية، مكتبة الزهراء، ط1، .

20-عيلان (عمرو): الايدولوجيا وبنية الخطاب الروائي دراسة سوسيوبنائية في روايات عبد الحميد بن هدوقة، منشورات جامعة منتوري قسنطينة، 2001.

21- كاصد (سليمان): عالم النص (دراسة بنيوية في الأساليب السردية)، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، 2003.

22- لحميداني (حميد): بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، بيروت، لبنان، المركز الثقافي العربي، 2000.

23-لالاند (أندري): الموسوعة الفلسفية مج(a-g)، تر:خليل أحمد خليل: منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط2، 2001.

24- مرتاض (عبد الملك): في نظرية الرواية،، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1988.

25- مونسي (حبيب): فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتية جمالية –دراسة- منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001.

26- موير (أدوين): بناء الرواية، تر: إبراهيم الصيرفي، الدار المصرية، القاهرة، 1965.